جواب الشريف التلمساني عن وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿ قل كل من عند الله﴾، وقوله: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾، وبين قوله صلى الله عليه وسلم: «والخير كله بيديك»، وقوله: «والشر ليس إليك»

وسام رزوق
باحث في سلك الدكتوراه بجامعة القرويين/كلية أصول الدين بتطوان . المغرب
awissamrezzouk@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/10/31، تاريخ القبول 2019/12/22، تاريخ النشر 2019/12/31

الملخص:
هذا البحث عبارة عن تحقيق جواب في مشكل القرآن والحديث، لأبي عبد الله الشريف التلمساني، حيث سئل عن وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿ قل كل من عند الله﴾، وقوله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾، وبين قوله صلى الله عليه وسلم: «والخير كله بيديك»، وقوله: «والشر ليس إليك». يعبر هذا الجواب عن شخصية الشريف التلمساني المفسر المفزوع إليه فيما يتعلق بمشكل القرآن والحديث من أمور الاعتقاد، حاول فيه الشريف التلمساني رفع الإشكالات التي قد تطرأ عند تأويل الآيتين والحديثين، إشكالات متعلقة بالفعل الإلهي، والفعل الإنساني، والعلاقة بينهما... وتضمن التقديم لهذا النص التراثي فوائد وجديدا نبهنا عليها في المقدمة؛ منها: التعريف بتأليف في ترجمة الشريف التلمساني؛ وهو المتضمن للجواب، كان في حكم المفقود، ذكره التنبكتي في "نيل الابتهاج"، وقال إنه اختصره في تأليف سماه "القول المنيف"، وذكرنا منه فوائد في ترجمة التلمساني، كما أثبتنا خطأ نسبة "القول المنيف" إلى أبي العباس الونشريسي...

الكلمات المفتاحية: القرآن، الحديث، الشريف التلمساني، التفسير، التحقيق.

المنارة للاستشارات
ww

مقدمة: يعد أبو عبد الله الشريف التلمساني ـ رحمه الله ـ من أعيان علماء القرن الثامن، مرجوعٌ إليه فيما يشكل على الخاصة قبل العامة؛ لموسوعيته وتفننه في علوم شتى؛ كالأصلين والمنطق، والتفسير والحديث وغيرها، وكان مجلسه مجلسا عظيما، يحضره الملوك والعلماء، وصدور الطلبة النبهاء، عكف فيه على تفسير القرآن الكريم خمسا وعشرين سنة حتى قالوا: "أتى فيه بالعجب العجاب"، وللأسف لم يكتب لصيد فوائده قيد؛ إذ لم يصلنا من تفسيره شيء، ولعل السبب في ذلك أن عناية الشيخ أبي عبد الله الشريف كانت منصرفة إلى التدريس والإقراء أكثر من التصنيف.

وقد شاء الله أن أعثر على جواب له لطيف، يبرز الشريف التلمساني المفسر، العالم المفزوع إليه فيما يتعلق بمشكل القرآن والحديث من أمور العقيدة.

وهذا الجواب وإن كان صغير الجرم، فهو فريد في بابه؛ إذ حاول فيه الشريف التلمساني رفع اللبس والإشكالات التي قد تطرأ عند تأويل الآيتين والحديثين، إشكالات متعلقة بالفعل الإلهي، والفعل الإنساني، والعلاقة بينهما؛ فهل الله خلق وقضى وقدَّر الخير والشر، والحسنة والسيئة، وجميع أفعال العباد، والإنسانُ مسؤول عن ذلك كلِّه من حيث اكتسبه، لا من حيث خلقَه وأوجده؟ أم أن الله يخلق الخير دون الشر، والإنسان مسؤول عن سوء أفعاله اختراعا وإيجادا؟

ورغم أن الشريف التلمساني لم يخُض في تشعبات هذه الإشكالات التي ستلزمه بالغوص في الخلاف الكلامي فيها بين الجبرية والمعتزلة والأشعرية، إلا أن طريقة تناوله وعرضه لمشكل الآيتين والحديثين، يسَّر الفهم ووطأ صعبه للسائل؛ فبيَّن أن لا تعارض بين قضاء الله وقدره، وإرادته الشاملة لكل أفعال العباد؛ حَسَنِها وسيِّئِها، وبين أمرِه بالحسنة ونهيِه عن السيئة، وأيضا لا تعارض بين بلاء الله وكُلِّ ما يرى فيه الإنسان شرا مع عدله سبحانه.

هذا وإضافة إلى أن هذا العمل إخراج لأثر تراثي جديد لعالم كبير؛ فإن تقديمنا له لم يخل من جدة وفوائد أعددها كالآتي:

المنارة للاستشارات
ww

1 ـ التعريف بتأليف في ترجمة الشريف التلمساني وولديه[1]؛ وهو التأليف الذي أخذنا منه الجواب موضوع التحقيق، مؤلفه تلمساني مجهول كان والده ملازما لأبي عبد الله الشريف، وهذا التأليف ـ فيما نحسب ـ كان في حكم المفقود، وقد ذكره أحمد بابا التنبكتي في "نيل الابتهاج"، وأفاد منه عند ترجمته لأبي عبد الله الشريف وولديه، بل واختصره في تأليف سماه "القول المنيف في ترجمة أبي عبد الله الشريف".

2 ـ أوردت عند التعريف بالشريف التلمساني بابا في تمسكه بالكتاب والسنة وذمه للبدع، اقتبسته من التأليف المذكور آنفا، ولم يفصل في هذه المنقبة أحد ممن ترجم له.

3 ـ تصحيح نسبة هذا التأليف الذي تضمن الجواب؛ إذ هو منسوب لحفيد الشريف التلمساني: أحمد بن أبي يحيى (895هـ)، وليس الأمر كذلك؛ إذ مؤلفه مجهول من أهل تلمسان.

4 ـ تصحيح نسبة كتاب "القول المنيف في ترجمة أبي عبد الله الشريف" (مختصر الترجمة التلمسانية)؛ إذ درج المؤلفون في التراجم والسير، والباحثون في سيرة أبي عبد الله الشريف على نسبة هذا الكتاب إلى أبي العباس الونشريسي (914هـ)، والصواب أنه من تأليف أحمد باب التنبكتي؛ الذي وقف على الترجمة التلمسانية المذكورة، واختصرها.

1 . ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني[2]

نقل التنبكتي نسبه من خط ولده فقال: "محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي[3] بن محمد بن القاسم محمود[4] بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس[1] بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب"[2].

---

[1] ـ منه نسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، تحت عنوان: "مناقب الشريف التلمساني وولديه: سيدي عبد الله الغريق، وسيدي أبي يحيى عبد الرحمن"، رقمها: 314. وقد نعبر فيما يأتي عن هذا التأليف باسم "الترجمة التلمسانية".

[2] . انظر ترجمته في: "تاريخ ابن خلدون"، ج7/536. 537، و" نيل الابتهاج" للتنبكتي، ص: 430 وما بعدها، و "المعيار" للونشريسي، ص: ج12/224، و "البستان" لابن مريم، ص: 164، وتاريخ بني زيان" للتنسي، ص: 179. 180، و"مناقب الشريف التلمساني وولديه"، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، رقم: 314.

[3] . لم يذكر اسم "علي" في الترجمة التلمسانية.

[4] . في الترجمة التلمسانية: "حمُود" عوض "محمود"، وهو موافق لما جاء في "تاريخ بني زيان" للتنسي وغيره، ص: 179.

المنارة للاستشارات
ww

ولد . رحمه الله . بتلمسان عام: 710هـ أو عام 716هـ على خلاف في ذلك[3]، في بيت علم وشرف، وكان يحضر مجالس العلم صغيرا، فظهرت نباهته ونجابته، تتلمذ رحمه الله على يد نخبة من كبار علماء وقته، فحفظ القرآن وجوده صغيرا على يد الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب، وأخذ عن الشيخين الإمامين: أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام التنسي وأخيه أبي موسى، والإمام المحقق أبي عبد الله الآبلي (ت757هـ)، والعالم أبي محمد المحاصي (ت741هـ)، وأبي عبد الله السطي (ت749هـ)، وأبي عبد الله بن عبد السلام (ت749هـ)، وغيرهم.

وكان شيوخه . رحمه الله . يثنون عليه ويجلونه، فقال فيه الآبلي: "قرأ علي خلق كثير في الآفاق، فما رأيت مثل أربعة، وأبو عبد الله أكثرهم تحصيلا، وأوفرهم عقلا"[4].

وكان الشيخ الإمام أبو عبد الله بن عبد السلام يقول: "ما كنت أظن أن في المغرب مثل هذا."[5]

وقال له الشيخ العالم أبو عبد الله بن عرفة عند وداعه: "يعز علي أن أفارقك ولا عرفت غايتك في العلم"، ولما ذكر له موته قال: " لقد ماتت بموته العلوم العقلية."[6]

وقال فيه الإمام الشهير الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق عند سفر التلمساني إلى تونس: "لقد كرهت فراق أبي عبد الله، ولكني أحمد الله على رؤية أهل إفريقية من بالمغرب"[7]

---

[1] . في الترجمة: زيادة "ابن ادريس" وهو ما أكده التنسي في "تاريخ بني زيان"، ص: 179.

[2] . "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" للتنبكتي، ص: 430.

[3] . ذكر الإمام زكرياء أبو يحي السراج (ت805هـ) و الإمام أبو العباس أحمد المسيلي (ت830هـ) أن مولده كان سنة: 716هـ ، وهو ما ذهب إليه صاحب الترجمة التلمسانية الذي تتلمذ على ابني التلمساني و كان والده ملازما له في صغره وكبره، (انظر ترجمة الشريف التلمساني، ص: 9)، في حين ذكر بن خلدون أنه سأله عن مولده فأجاب أنه سنة 710هـ، وتابعه الونشريسي، (انظر نيل الابتهاج، ص: 432)، ومن تم لا يمكن الحسم في سنة ولادته كما ادعاه محقق "مفتاح الوصول" (راجع: "مفتاح الوصول"، ص: 55.

[4] . "مناقب الشريف التلمساني وولديه"، ص: 15.

[5] . نفسه، ص: 20.

[6] . نفسه، ص:20.

[7] . نفسه، ص: 22.

المنارة للاستشارات
ww

هذا وقد بلغ رحمه الله في علوم المنقول والمعقول المنتهى، وكان أصوليا متكلما جامعا للعلوم العقلية القديمة والحديثة، عالما بإشارات الصوفية ومذاهبهم، وعلوم المنطق والجدل، وعلوم اللغة العربية، وعلوم الحديث والسيرة، وعلوم القرآن، فسر القرآن العظيم ما يزيد عن خمس وعشرين سنة، و درّس كتب الغزالي ك "الاقتصاد في الاعتقاد"، و "ميزان العمل"، وكتب الفخر الرازي ك "المحصل"، وكتب ابن سينا نحو: "الإشارات" و "الشفاء"، وجمل الخونجي، ودرس الصحيحن، وسيرة ابن إسحاق، والشفا للقاضي عياض، وغيرها.

وقد عده غير واحد من العلماء ممن وصل درجة الاجتهاد كالإمام السراج، وابن الخطيب الجد[1]

وقيل إنه ابتدأ الإقراء . رحمه الله . وهو ابن إحدى عشرة سنة[2]، فأكب عليه طلبة العلم ولازموه، وأسماؤهم أكثر من أن يجمعها حصر، منهم؛ ولداه: أبو محمد عبد الله (ت792هـ)[3]، وأخوه أبو يحي عبد الرحمن(ت826هـ)[4]، وعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)[5]، وابن قنفذ القسنطيني (810هـ)، وابن السكاك العياضي (ت818هـ)[6]، والإمام الشاطبي (ت 790هـ)، وغيرهم.

كان الشريف التلمساني قليل التأليف معتنيا أكثر بتدريس وتلقين العلم، ومما وصلنا من تآليفه وأجوبته ما يلي:

- "مفتاح الوصول لبناء الفروع على الأصول"، من أنفس ما ألف في الأصول[7].
- "شرح جمل الخونجي" في المنطق[8].
- "مثارات الغلط في الأدلة[1].

---

[1] . "نيل الابتهاج"، ص: 431.

[2] . "مناقب الشريف التلمساني وولديه"، ص: 13.

[3] . انظر ترجمته في: "نيل الابتهاج"، ص: 225 وما بعدها.

[4] . نفسه، ص: 252.

[5] . نفسه، ص : 250.

[6] . نفسه، ص: 481.

[7] . طبع بتحقيق محمد علي فركوس، مؤسسة الريان ط: 1، 1419هـ/1998م، بيروت.

[8] . ذكره غير واحد ممن ترجم للشريف التلمساني.

المنارة للاستشارات
ww

- "كتاب في القضاء والقدر" قال عنه صاحب الترجمة التلمسانية: "ألف رحمه الله كتابا في القضاء والقدر، فأجاد إيراده وإصداره، وقدر الحق مقداره، واقتدر على التعبير عن تلك العلوم الغامضة، والمعاني الدقيقة بالكلام الجزل الفصيح، والألفاظ الرشيقة، وكان علماء المغرب يفزعون إليه في حل ما أشكل عليهم من علومه، وبسط ما اعتاص من معانيه"[2].

- "كتاب في المعاوضات"[3].

- وله أجوبة عن مسائل في الفقه وأصوله، والمنطق والكلام، وتفسير بعض آي القرآن، كانت ترد عليه من الملوك وكبار العلماء وطلبة العلم[4].

وفاته:

لما عاد . رحمه الله . إلى تلمسان قادما من فاس ، استقبله السلطان أبو حمو بن يوسف، وزوجه ابنته، وبنى له مدرسة، فقام يدرس العلم حتى توفى سنة: 771هـ[5].

2 . تمسك الشريف التلمساني بالكتاب والسنة وذمه للبدع:

ورد في الترجمة التلمسانية باب في بيان تمسك الشريف التلمساني بالقرآن والسنة، نورد بعض ما جاء فيه لما انفرد به من فوائد عمن ترجموا له، قال صاحبها:

"الباب السابع: في تمسكه بكتاب الله وسنته

كان قدس الله روحه على الهدي الأول في أحواله، مستمسكا بالكتاب والسنة في أقواله وأفعاله، لا ينفك عن الجماعة قيد شبر، ولا يقطع دونهم أمرا، ولا يرى الحق إلا معهم، ولا يرى الرشد إلا في اتباعهم، كثير الاتباع،

---

[1] . طبع مع "مفتاح الوصول" بالتحقيق السابق ذكره.

[2] . انظر "مناقب الشريف التلمساني وولديه"، ص: 42.

[3] . لم أقف عليه، ذكره التنبكتي في" نيل الابتهاج"، ص: 437.

[4] . جل هذه الأجوبة متضمن في كتاب: "المعيار" لأبي العباس الونشريسي، وفي الترجمة التلمسانية، وقد قام بتخريجها محقق "مفتاح الوصول" فليراجع.

[5] . انظر "تاريخ ابن خلدون"، ج7/537.

المنارة للاستشارات
ww

قليل الابتداع، شديدا على أهل البدعة، ركنا مشيدا لأهل السنة، ذا بأس وقوة في نصر الحق، لا يقوم له مبتدع بحجة، ولا تهتك عنده حرمة، ولا تشتهر في قطره بدعة، ولم يكن ليضيع أسرار الشريعة في غير محلها، أو يبثها إلى غير أهلها، بل يترك الأمر كما ورد، ويقف عند ما حد، ولا يشوش على أحد، وإن أخذ أحد بمحضره فيما فوق قدره زجره، وبالغ في زجره، وأشغله بما يعنيه، وحسن مقصده فيه، **حدثني أبي حفظه الله** أنه سمع رجلا من متفقهي العامة سأله بفاس عن تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما، فزجره عن ذلك، وقال له: "إذا لم تكن تسأل يوم القيامة عن تفضيل أبي بكر على عمر، فلم تسأل عنه في الدنيا؟"، وكان يحضر مجلسه كبير وزراء الدولة، متطلبا للعلم، فمال يوما عنده على بعض الأئمة، فنظر إليه نظرة ظهر فيها الغضب، وشد عليه في القول وعنفه، فسكت الوزير، ولم ينقطع من مجلسه، **وسمعت من أبي** أنه حدثه أن بعض الطلبة أخذ عليه في قراءة بعض كتب الإمام الغزالي . نفع الله به ورضي عنه .، وكان ممن يريد التجمل بذلك، فرأى أبو عبد الله في منامه كأنه يضع كتبه في موضع قذر، فرأى أنه نهي عن إقرائه له فتركه ولم يعد لتعليمه له.

وكان رحمه الله مذكرا بالله، محذرا من مخالفته، ذاكرا له سبحانه عند أمره ونهيه، كثير التدبر للآيات، والتطلع للشواهد والاستدلالات، والنظر في ملكوت الأرض والسماوات، نظره عبرة، وصمته فكرة، ومنطقه حكمة، يغوص في بحر الفكر إلى مدى تقصر عنه الأفهام، وتضمحل فيه الأوهام، وتقف دونه الأقدام، وتكل عنه الأقلام، فيستخرج الدرر الثمينة، والجواهر النفيسة، والذخائر الغريبة، والبدائع العجيبة."[1]

3 . التعريف بالتأليف المتضمن للجواب المحقَّق وبصاحبه:

أ . صاحب كتاب: "مناقب الشريف التلمساني وولديه":

تنسب الصفحة الأولى من المخطوطة هذا الكتاب إلى حفيد الشريف التلمساني أحمد بن أبي يحي (ت895)[2]، جاء فيها: "صاحب هذا التأليف العالم الأفضل سيدي أحمد ولد سيدي أبي يحي، ولد أبي عبد الله

[1] . انظر "مناقب الشريف التلمساني وولديه"، الصفحات: 78 . 79. 80.

[2] . انظر ترجمته في "نيل الابتهاج" للتنبكتي، ص: 123.

المنارة للاستشارات
ww

الشريف، فهو حفيد أبي عبد الله"[1]، إلا أن القارئ للمخطوطة يكاد يجزم بأنها ليست له، بل الشكوك تحوم حول هذه النسبة من الوهلة الأولى؛ لأن العبارة المذكورة، التي تنسب التأليف للحفيد مكتوبة بخط وقلم مغايرين، والأدلة على رفع هذه النسبة عديدة، منها:

ـ أن ولدي الشريف التلمساني من شيوخ صاحب الترجمة، ولم يذكر أحد أن حفيد التلمساني تتلمذ على عمه أبي محمد عبد الله (ت792هـ).

ـ في الترجمة ما يفيد بأنها كتبت في حياة أبي محمد عبد الله[2]، وإذا نظرنا إلى تاريخ وفاته، وهو: 792هـ، وإلى تاريخ وفاة الحفيد، وهو: 895هـ، نجزم أن الحفيد لم يتتلمذ على عمه، وحتى إن عاصره، لن يكون كفؤا بعد للتأليف.

ـ لم يشر صاحب الترجمة إلى أن أبا يحيى أبوه، ولا إلى أن أبا محمد عمه، ولا إلى أن الشريف التلمساني جده.

ـ يذكر صاحب الترجمة أن أباه كان من أصحب الناس للشريف التلمساني صغيرا وكبيرا، وأنه عاشره مرة نحو الأربعة أشهر، والتمدح بالصحبة على هذا النحو، لا يعني شيئا إذا كان والد صاحب الترجمة ابنَ الشريف التلمساني.[3]

ـ إن التنبكتي لما اختصر هذه الترجمة، لم ينسبها إلى أحمد بن أبي يحيى الحفيد، بل نسبها إلى بعض التلمسانيين، ولما ترجم للحفيد المذكور لم يشر إلى أن له فهرسة لجده.

ـ إن هذه الترجمة ألفت بطلب من الأمير أبي زيان محمد بن أبي حمو، الذي خلع وهرب إلى المشرق عام 801هـ ، وتوفي عام 805هـ[4]، ويبعد أن يكون طلَب تأليفها من حفيد التلمساني الذي توفي عام 895هـ.

[1] . انظر المخطوطة، ص:1.
[2] . نفسه، ص: 12 . 16.
[3] . نفسه، ص: 11 . 12.
[4] . راجع: "تاريخ بني زيان" للتنسي، ص: 227.

المنارة للاستشارات
ww

وبالجملة، فصاحب الترجمة مجهول، لا نعرف عنه أكثر من أنه تتلمذ على ولديّ الشريف التلمساني وبعض من أصحابه؛ منهم: أبو يحي المطغري[1]، وأنه جالس الفقيهين: محمد بن صالح الفاسي، وأبي العباس أحمد بن موسى البجائي[2]، وأن أباه كان ملازما للشريف صغيرا وكبيرا، كما أنه كانت له المكانة والحضوة لدى السلطان أبي زيان محمد بن أبي حمو.

ب .كتاب "ترجمة الشريف التلمساني وولديه":

يعد أحمد بابا التنبكتي أكثر من توسع في ترجمة الشريف التلمساني[3]؛ ذلك أنه وقف على كتاب لبعض التلمسانيين ترجم فيه للشريف التلمساني وولديه، فقام باختصاره في جزء سماه: " القول المنيف في ترجمة أبي عبد الله الشريف "، فالقول المنيف هذا؛ هو للتنبكتي، وقد وهم كثيرون على نحو غريب في نسبة هذا الكتاب للونشريسي صاحب "المعيار"؛ ومنهم: ابن مريم في "البستان"[4]، والزركلي في "الأعلام"[5]، وتابعهما محقق: "مفتاح الوصول لبناء الفروع على الأصول" للشريف التلمساني[6]؛ وذلك لأنهم لم يميزوا بين اقتباس التنبكتي من كلام الونشريسي وبين كلام التنبكتي المأخوذ من "القول المنيف"، فحسبوه قولا واحدا مرسلا لأبي العباس الونشريسي رغم انفصاله عنه برمز الانتهاء: "هـ".

وإذا تأملنا كلام التنبكي في "نيل الابتهاج" نجده بعد أن أنهى ترجمته للشريف التلمساني بما أسعفته المصادر، وبعد أن ذكر كلام الونشريسي، قال: "وبعد أن كتبت ما تقدم، وقفت على جزء لبعض التلمسانيين عرف صاحبه بالشريف وولديه، فلخصته في جزء سميته: "القول المنيف في التعريف بالإمام أبي عبد الله الشريف"،

---

[1] . قال صاحب الترجمة التلمسانية: "ولقد سمعت شيخنا الصالح أبا يحي المطغري يقول..."، انظر: " نيل الابتهاج"، ص:253.

[2] . نفسه، ص: 226 . 227.

[3] . نفسه، ص: 430 وما بعدها.

[4] . "البستان" لابن مريم التلمساني، ص: 166. وكل ما ينقله ابن مريم في تعريفه بالشريف التلمساني، هو اقتباس من "نيل الابتهاج" للتنبكتي، والذي اعتمد أساسا على الترجمة التلمسانية، فانظر كيف عز وجود هذه الترجمة النفيسة في أيدي من أرخ لعلماء تلمسان.

[5] . "الأعلام" للزركلي، ج327/5.

[6] . "مفتاح الوصول" للتلمساني، ص: 52.

المنارة للاستشارات
ww

فلنذكر هنا ما تيسر منه..."[1]، كما أن التنبكتي نقل من الجزء الذي اختصره عند ترجمته لولدي الشريف التلمساني: أبو يحيى عبد الرحمن، وأبو محمد عبد الله، فقال في ترجمته لأبي محمد عبد الله: "وقال بعض من عرف به وأبيه وأخيه في جزء...انتهى ما ذكره صاحب التقييد المذكور ملخصا"[2]، وهذا التقييد هو الذي اختصره التنبكتي وسماه بـ: "القول المنيف".

واتبع المسلك ذاته عند ترجمته لولد الشريف: أبي يحيى عبد الرحمن، فاقتبس في ترجمته له من كلام ابن العباس[3]، ثم أعقبه باقتباس من كلام صاحب الترجمة التلمسانية ملخصا، فقال: "قال الإمام ابن العباس: الإمام العلامة الأوحد، شريف العلماء وعالم الشرفاء، آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن، ابن العلماء الأئمة . هـ."[4]، ثم قال عقبه: "وقال بعض من عرف به وبأبيه وأخيه..."[5].

يتبين مما سبق أن "القول المنيف في ترجمة أبي عبد الله الشريف" هو اختصار التنبكتي للترجمة التلمسانية، ونسب خطأ إلى أبي العباس الونشريسي؛ صاحب المعيار.

4 . وصف المخطوطة وبيان عملنا في التحقيق:

أ . الوصف:

يوجد جواب الشريف التلمساني ضمن مخطوطة بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، تحت عنوان: "مناقب الشريف التلمساني وولديه: سيدي عبد الله الغريق، وسيدي أبي يحيى عبد الرحمن"، رقمها: 314، سقط منها كل ما يتعلق بترجمة ولدي الشريف التلمساني وبعض أبواب ترجمته، فهي خلو من اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

[1] . نفسه، ص: 432.
[2] . نفسه، ص: 225 . 227.
[3] . انظر ترجمته في "نيل الابتهاج"، ص: 547.
[4] . نفسه، ص: 252.
[5] . نفسه، ص: 253.

المنارة للاستشارات
ww

يبدأ الجواب من أول الصفحة: 80، وينتهي في وسط الصفحة: 89؛ أي في حدود 10 صفحات، في كل صفحة 18 سطرا، ويحوي كل سطر قرابة 11 كلمة، وقد كتب بخط مغربي مرونق جميل، وعليها تصحيحات.

كتبت أبواب المخطوطة بالأحمر، وأبرزت بدايات الأجوبة بخط مضغوط، وبعض العناوين الفرعية بالأخضر.

هذا وتضمنت المخطوطة كل أجوبة الشريف التلمساني المعروفة لدينا، والتي عني بجمعها محمد علي فركوس في تحقيقه لـ "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول".

ب . عملنا في التحقيق:

. ضبط الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية.

. ضبط النص وتصويب بعض الكلمات، وملء المحذوف منها تقديرا لإتمام المعنى.

. تقريب النص من خلال شرح بعض الكلمات و المصطلحات، والتعليق عليه في مواضع بما يجلي الفهم ويرفع الإشكال.

. وضع عناوين بخط بارز بين معقوفتين: **[ ]**

ج . نماذج مصورة من النص المحقق:

المنارة للاستشارات
ww

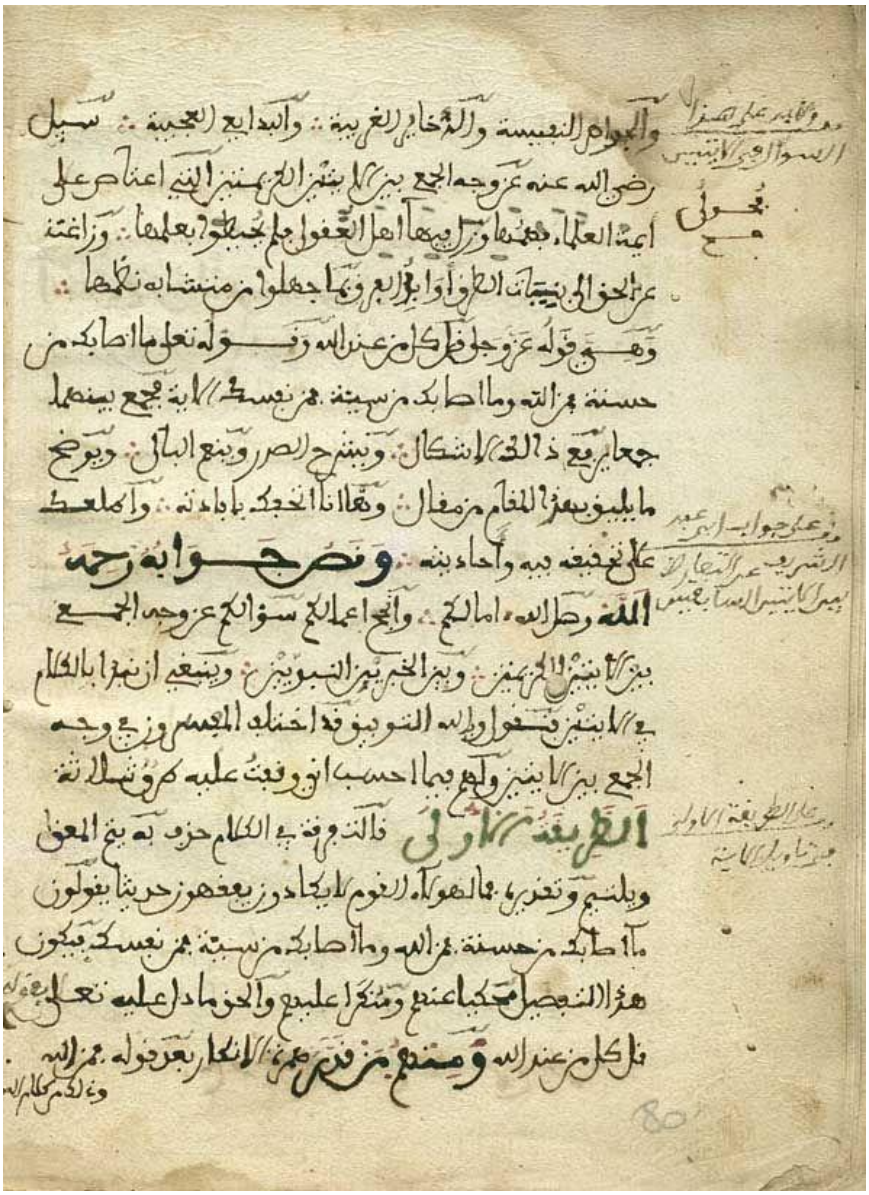

صورة من أول الجواب

المنارة للاستشارات

ww

صورة من آخر الجواب

المنارة للاستشارات
ww

نص جواب الشريف التلمساني

عن وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿ ئى ئې ئى ئى ئد﴾، وقوله: ﴿ بج بح بخ بم بى بيتج تح تخ تم تى تي ثجثم﴾، وبين قوله صلى الله عليه وسلم: «والخير كله بيديك»، وقوله: «والشر ليس إليك»

[بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما][1].

[سئل رضي الله عنه عن وجه الجمع بين الآيتين الكريمتين اللتين[2] اعتاص على أئمة العلماء فهمهما، وزل فيهما فحول أهل العقول، فلم يحيطوا بعلمهما، وزاغت عن الحق إلى بنيات الطرق أوابد[3] الفرق، بما جهلوا من متشابه نظمهما، وهي قوله عز وجل: ﴿ ئى ئې ئى ئى ئد ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ بج بح بخ بم بى بيتج تح تخ تم تى تي ثجثم﴾[5] الآية، فجمع بينهما جمعا يرفع ذلك الإشكال، ويشرح الصدر وينعم البال، ويوضح ويوضح ما يليق بهذا المقام من مقال، وها أنا أتحفك بإفادته، وأطلعك على تحقيقه فيه وأحاديثه.

ونص جوابه . رحمه الله .][6]:

وصل الله آمالكم، وأنجح أعمالكم، سؤالكم عن وجه الجمع بين الآيتين الكريمتين، وبين الخبرين النبويين.

وينبغي أن نبدأ بالكلام في الآيتين، فنقول وبالله التوفيق:

---

[1] . ما بين معقوفتين إضافة مني.

[2] . في الأصل: التي، وكذا كل ما يعود على الآيتين جاء في كلام صاحب الفهرسة مفردا فقمت بتثنيته.

[3] . الأوابد جمع آبدة، ومعناها هنا: الدواهي، جاء في لسان العرب: "والآبدة: الداهية تبقى على الأبد، والآبدة: الكلمة أو الفعلة الغريبة، وجاء فلان بآبدة؛ أي بداهية يبقى ذكرها على الأبد". كما تطلق ويراد بها الوحش التي نفرت من الإنس، وقد يراد بها الأمر العظيم، يقال جاء بآبدة؛ أي بأمر عظيم ينفر منه ويستوحش. انظر لسان العرب لابن منظور، باب الهمزة، مادة: أبد، ج4/1.

[4] . تمام الآية: ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ی ی یـ یـ □ □ □ □ □ ﴾. [النساء: 77].

[5] . سورة النساء، الآية: 78.

[6] . ما بين معقوفتين تقديم صاحب الفهرسة لجواب الشريف التلمساني . رحمه الله . وقد أغفل فيه كون الجواب متضمنا لشرح مشكل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله «والخير كله بيديك»، وقوله: «والشر ليس إليك».

المنارة للاستشارات
ww

[أولا: وجه الجمع بين الآيتين الكريمتين]

قد اختلف المفسرون في وجه الجمع بين الآيتين، ولهم فيما أحسب أني وقفت عليه طرق ثلاثة[1].

الطريقة الأولى:[2]

قالت فرقة: في الكلام حذف به يتم المعنى ويلتئم، وتقديره: "فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك"؛ فيكون هذا التفصيل محكيا عنهم ومنكرا عليهم.

والحق ما دَلَّ عليه تعالى في قوله: ﴿ ئى ئي بج بح بخ ﴾.

ومنهم من قدّر همزة الإنكار بعد قوله: ﴿بى بي﴾/80/[3]؛ وذلك من كلام الله غير محكي عنهم، وتقدير الكلام بعده: "أ وما أصابك من سيئة فمن نفسك؟!".

[اعتراض الشريف التلمساني على الطريقة الأولى]

وبالجملة فهذان القولان يتضمنان إنكار إسناد السيئات إلى العبد، والقرآن صريح في نسبتها إليه؛ كقوله: ﴿ى ي يج يح يخ يم ين يه يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ [الشورى: 28] ، وقوله: ﴿ ى ي يج يح يخ يم ين يه يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ [آل عمران: 165]، فكيف ينكر عليهم قولا قد أجابهم به حين قالوا: ﴿ئي بج﴾؟

الطريقة الثانية:[4]

---

[1] . في حقيقة الأمر ذكر الشريف التلمساني أربعة طرق، بين في الرابعة مذهبه واجتهاده المرضي عنده، ولعله يقصد بالطرق الثلاثة تلك المخالفة لرأيه ومذهبه في وجه الجمع بين الآيتين.

[2] . راجع في ذلك: معالم التنزيل للبغوي: ج253/2، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج468/6، و البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ج313/3.

[3] . ما بين حاصرتين رقم الصفحة في المخطوطة.

[4] . نحا هذا المنحى في التأويل؛ الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب"، قال: "اعلم أن السيئة تقع على البلية والمعصية، والحسنة على النعمة والطاعة، قال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ﴾ [الأعراف: 168]، وقال: ﴿ ۓ ڭ ڭ ڭ ﴾ [هود: 114]. إذا عرفت هذا فنقول: قوله ﴿ ٻ ٻ ﴾ يفيد العموم في كل الحسنات، وكذلك قوله: ﴿ ﴾، يفيد العموم في كل السيئات، ثم قال بعد ذلك: ﴿ ﴾، فهذا تصريح بأن جميع الحسنات والسيئات من الله، ولما ثبت بما ذكرنا

المنارة للاستشارات
ww

قالت فرقة: يراد بالحسنة والسيئة تارة النعمة والبلية؛ كقوله تعالى: ﴿ہ ۂ ۃ﴾ [الأعراف: 168]، وقوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ﴾ [الأعراف: 130].

وتارة الطاعة والمعصية؛ كقوله تعالى: ﴿ ۓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ [هود: 114] ، وقوله: ﴿ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾ [الأنعام: 161].

وفي كون اللفظين يطلقان على هذين الجنسين[1] بالاشتراك[2] أو بالتواطئ[3] نظر يخرجنا تحقيق الكلام فيه عن الغرض.

وإذا ثبت ذلك، فقد يكون المراد بالحسنة والسيئة في الآية الأولى: النعمة والبلية، وفي الآية الثانية: الطاعة والمعصية.

قالوا: فيناسب الآية الأولى قوله: ﴿ۋ ۋ ۅ﴾ [النساء: 77] ، فإنه يناسب النعمة والبلية.

[و][4] الآية الثانية: ﴿ثى ثي جح﴾ [النساء: 78] ، وقوله:/81/ ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ﴾ [النساء: 79] ، يناسب الطاعة والمعصية اللتين هما سبب الثواب والعقاب، ومتعلقا التكليف الذي من أجله بعثت الرسل، وإنما وقع التفصيل بين الطاعة والمعصية في النسبة إلى الله تعالى وإلى العبد . وإن كان كلٌّ منه تقديرا وخلقا . ؛ لأن

أن الطاعات والمعاصي داخلتان تحت اسم الحسنة والسيئة، كانت الآية دالة على أن جميع الطاعات والمعاصي من الله وهو المطلوب"، ثم استرسل الرازي في ذكر وجوه الاعتراضات على تسمية الحسنة والسيئة بالطاعة والمعصية، ورد عليها، راجع: "مفاتيح الغيب"، ج10/193 . 194.

[1] . الجنس في اصطلاح المناطقة "ما لا يوجد شيء أعم منه، وهو داخل في الماهية، أي يمكن أن يذكر في جواب ما هو" انظر "معيار العلم" للغزالي، ص: 100 . وإن شئت قلت: "هو مفهوم كلي يشتمل على كل الماهية المشتركة بين متعدد مختلف في الحقيقة. مثاله: حيوان، فهو كلي يتناول الإنسان والفرس والغزال وسائر الحيوان"، انظر "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة" لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص: 39. والمقصود بالجنسين في كلام المؤلف هنا: الحسنة والسيئة.

[2] . الاشتراك نسبة معنى إلى معنى من جهة اشتراكهما في لفظ واحد يدل عليهما، فيكون المشتركان هما المتحدان في المعنى، المختلفان في اللفظ. راجع: "ضوابط المعرفة" لحبنكة الميداني، ص: 53.

[3] . التواطؤ: نسبة وجود معنى كلي في أفراده، والمتواطئان: المشتركان في الحد والرسم المتساويان فيه، بحيث لا يكون الاسم لأحدهما بمعنى إلا وهو للآخر بذلك المعنى، فلا يتفاوتان. انظر "معيار العلم"، ص: 82 و "ضوابط المعرفة"، ص: 51.

[4] . الواو ليست في الأصل، أثبتناها ليلتئم المعنى.

المنارة للاستشارات

الطاعة واقعة بقدر الله تعالى ومشيئته وأمره ورضاه، وأما المعصية . وإن وقعت بالقدر والمشيئة . فلا حظ لها في الأمر والرضا.[1]

فلذلك نسبت الطاعة إلى الله تعالى، والمعصية إلى العبد.

[اعتراض الشريف التلمساني على أصحاب الطريقة الثانية]

وأقول: في هذا التفسير نظر، بل الظاهر أن المراد بالحسنة والسيئة في الآيتين جميعا: النعمة والبلية؛ فإن لفظ الإصابة يقترن[2] شائعا ذائعا بالنعمة والبلية، بخلاف الطاعة والمعصية.

وأيضا فسبب النزول يشهد لما قلناه، على ما ذكره المفسرون؛ فمنهم من قال: إن المنافقين كانوا إذا خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزو، إن غنموا قالوا: هذا من الله لا من بركة محمد، وإن انهزموا قالوا: هذا من شؤمه، ومن سوء تدبيره.[3]

[1] . قال شيخ الجماعة بفاس محمد بن قاسم جسوس (ت1182هـ) في "شرح توحيد المرشد المعين": "...فيؤخذ من استحالة وجود شيء مع كراهته لوجوده أن ما وقع أو يقع من الشرور والفتن والمعاصي، وظهور أهل الباطل على أهل الحق، وأهل الكفر على أهل الإيمان، وقتل الكفار للأنبياء، وإذاية الفساق للعلماء والأولياء، وظهور الدجال، ويأجوج وماجوج، وغير ذلك، كل ذلك بقضاء الله وقدره وإرادته، وتعالى أن يكون في ملكه مل لا يريد، ولا يلزم من كون ذلك كله بإرادة الله أن يرضاه ولا ينهى عنه، فإن الرضى هو ترك الاعتراض بالطاعات، بإرادته ورضاه وأمره، والمعاصي بإرادته دون رضاه وأمره"، مخطوط خزانة المسجد الأعظم بوزان رقم: 1145، ص: 170.

[2] . في الأصل: تقترن، والصواب ما أثبتناه.

[3] . جاء في تفسير الطبري (ت310هـ) . وغيره . أن الآية نزلت في شأن الحرب، وروى من طريق ابن عباس أن الحسنة في الآية؛ ما فتح الله على رسوله يوم بدر، وما أصابه من الغنيمة والنصر، وأن السيئة؛ ما أصابه يوم أحد أن شُجَّ في وجهه وكسرت رباعيته. ومثل ذلك قاله ابن أبي حاتم (ت327هـ) في تفسيره، وجمع القرطبي (ت671هـ) أقوال المفسرين في الحسنة والسيئة بما يعضد قول الشريف التلمساني فقال: إنه قيل في الحسنة: السلامة والأمن، وقيل: الغنى، وقيل: النعمة والفتح والغنيمة يوم بدر، وقيل: السراء، وقيل: الخصب، وأما السيئة فقيل: هي الأمراض والخوف، وقيل: الفقر، وقيل: البلية والشدة؛ وهي القتل والشدة يوم أحد، وقيل: الضراء، وقيل الجذب، وكل هذه التأويلات خلت من تفسير الحسنة بالطاعة، والسيئة بالمعصية. راجع: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري، ج242/7، و "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم": ج1010/3، و "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي: ج467/6.

المنارة للاستشارات
ww

وقيل الزاد والخصب والجذب؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أصابهم جذب، وقد كان قبل ذلك خصب، فكانوا يقولون: هذا من شؤم محمد[1].

وإنما كان ذلك للابتلاء من الله لهم، كسنته فيمن قبلهم من الأمم مع أنبيائهم، قال تعالى: ﴿ئم ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى﴾ [الأعراف: 93] ،/82/ وكما قال: ﴿ہ ہ ہ ھ ھ﴾ [الأعراف: 168].

وبالجملة فالطاعة والمعصية [ليستا][2] [أولا وآخرا][3]، وتفسير الحسنة [والسيئة][4] بذلك يخرج النظم عن فصاحته.

الطريقة الثالثة:

قالت فرقة: ينبغي أن يعلم الفرق بين قول القائل: "هذا من زيد"، و "هذا من عند زيد".

فإذا قلت: "من عند زيد"؛ فهو أعم من المباشرة ومن التسبب.

وإذا قلت: "من زيد"؛ فلا يكون إلا مباشرة.

وذلك أن "**من**" هي لابتداء الغاية على إيصال الشيء بما دخلت عليه "**من**".

وأما "**عند**"؛ فهي دالة على الجهة، فدل لفظ "**من**" فيها على إيصال الشيء بجهة زيد، ولا ينعكس.

---

[1] . يعني: اليهود والمنافقين، وهو قول ابن عباس، حكاه القرطبي في تفسيره، ج467/6، وقال ابن عطية وأبو حيان: إنهم المنافقون لا اليهود، انظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية، ج81/2، و"البحر المحيط" لأبي حيان، ج313/3، و قال الزجاج (ت311هـ): نزلت في اليهود، قال: " قيل: كانت اليهود . لعنت . تشاءمت برسول الله صلى الله عليه عند دخوله المدينة، فقالت: منذ دخل المدينة نقصت ثمارنا، وغلت أسعارنا، فأعلم الله عز وجل أن الخصب والجدب من عند الله". انظر: "تهذيب معاني القرآن وإعرابه"، ج61/2.

[2] . بياض في الأصل بمقدار كلمة، وما أثبتناه لإتمام المعنى.

[3] . كذا بالأصل، والعبارة قلقة لا يستقيم معها المعنى، ولعل الصواب: "أولى وأحرى"؛ فيكون تقدير الكلام: "وبالجملة فالطاعة والمعصية ليستا أولى وأحرى، وتفسير الحسنة بذلك يخرج النظم عن فصاحته"، ويشهد له قول التلمساني بعد: "وقد قدمنا أن تفسير الحسنة والسيئة بالنعمة والبلية **أدعى** إلى المقام، و **أجرى** على قوام النظم في الكلام".

[4] . لفظة: "السيئة" ليست بالأصل، وإثباتها لإتمام المعنى.

المنارة للاستشارات
ww

فقوله: ﴿ ئى ئې ئې ئى ئى ئد ﴾، لا ينافي قوله: ﴿تح تخ تم تى تي ثج ثم﴾؛ فلأن الحسنة من الله ومن عنده، وأما السيئة فمن عند الله وليست منه.

قالوا: وإنما كانت الحسنة من عنده ومنه؛ لأنها واقعة بإرادته سبحانه، وأمره ورضاه وتوفيقه.

وأما السيئة؛ فإنها وإن كانت بإرادته، فليست بأمره ولا برضاه[1] ولا بتوفيقه.

[اعتراض الشريف التلمساني على الطريقة الثالثة]

وأقول: هذا يناسب تفسير الحسنة و السيئة بالطاعة والمعصية؛ فإنهما متعلقا الأمر والرضا والتوفيق والنهي والسخط والخذلان، وقد قدمنا أن تفسير الحسنة والسيئة بالنعمة والبلية أدعى إلى المقام، وأجرى على قوام النظم في الكلام، على أن من الناس من كاد يعكس في التفسيرين المذكورين لـ : "من" و "عند" بأن قال بعض:

"من" تدل على البداية، وذلك لا يقتضي/83/ الاستقلال والاستبداد بالنسبة.

وأما لفظ "عند" فهي دالة على الاستقلال والاستبداد بالنسبة؛ فقولك: "هذا من عند الله" يدل على عدم الواسطة؛ كما في قوله تعالى: ﴿بى بي تج تح تخ﴾ [آل عمران: 37] لا مشاركة فيه لغيره، وكذلك لفظ "لدن" [في][2] قوله: ﴿ڈ ڈ ڈ ژ﴾ [الكهف: 64]؛ أي لا بواسطة تعليم معلم غيرنا.

وكأن هؤلاء رأوا أن الظرف من شأنه أن يكون محيطا بالمظروف، فكأن الجهة الإلهية أحاطت بالشيء المنسوب إليها بخلاف لبعض "من"، وهذا كله خارج عن النظر في الآية، وقد قال تعالى في السيئات: ﴿ بخ بم بى بي تج﴾ [آل عمران: 165] ، فيدل هذا على استقلال العبد بالنسبة إليه، وقال تعالى: ﴿ئى ئې ئى ئد﴾، فدل على استقلال الله بالنسبة إليه.

الطريقة الرابعة:

وهي المرضية عندنا؛ وذلك أن الحسنة والسيئة قد قدمنا [أنهما][1] في الآيتين بمعنى النعمة والبلية، ولا شك أنهما مخلوقتان لله تعالى، ومقدورتان له، فوجب نسبتهما إلى الله تعالى حقا وتقديرا.

[1] . في الأصل: برضيه.

[2] . في الأصل: "و"، ولا معنى لها، فأثبتنا حرف: "في".

المنارة للاستشارات
ww

وأيضا فالله عز وجل يبتلي بهما خلقه كما قال: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ [الأعراف: 168].

ولما كانت البلايا لاحقة للإنس بسبب اكتسابهم سيئاتهم، نسبت إليهم، قال الله تعالى: ﴿ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ﴾ [الرعد: 12] ، وقوله عز وجل: ﴿ ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح ﴾ [الشورى: 28] ، وقوله تعالى: ﴿ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ﴾ [النساء: 122] ، ولما نزلت هذه الآية /84/ شق ذلك على أبي بكر [...][2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أبا بكر! ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء[3]؟»[4].

فبين هذا أن هذه البلايا الدنيوية . سواء كانت نفسانية أو جسمانية . فإنما هي جزاء بما اقترف العبد.

فقوله تعالى: ﴿ ئى ئې ئى ئى ﴾؛ يعني الحسنات والسيئات تقديرا وخلقا.

وقوله: ﴿تح تخ تم تى تي ثج ثم﴾؛ يعني بسبب ذنبك وكسبك؛ كما أن الملك يعاقب على الذنب، فيصح نسبة العقوبة إلى الملك وإلى الجاني بالجهتين.

فإن قيل: هذا المعنى الذي ذكرتم في السيئة هو بنفسه قائم في الحسنة؛ فإن النعم أيضا في الدنيا هي [بسبب][5] الطاعات المكتسبة، قال الله تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ﴾ [الجن: 16] ، وقال تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ [المائدة: 68] ، وقال تعالى: ﴿ ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ﴾

[1] . في الأصل: "أنها"، والصواب ما أثبتناه.

[2] . بياض في الأصل بقدر كلمة

[3] . معنى اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. راجع: "لسان العرب" لابن منظور، باب اللام، مادة: لأى، ج3978/5.

[4] . رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند أبي بكر الصديق، قال: "حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا سفيان، قال: حدثنا ابن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير أظنه، قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ قال: «يرحمك الله يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟» قال: بلى". راجع الحديث رقم: 70: ج75/1.

[5] . في الأصل: "سبب"، والصواب ما أثبتناه.

المنارة للاستشارات
ww

پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ﴾[نوح: 10 ـ 11 ـ 12] ، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يؤتى بها في الدنيا ويجزى بها في الأخرى»[1].

فدلت هذه الدلائل على أن النعم أيضا جزاء على كسب الخلق، كما أن البلايا كذلك؛ فلئن صح نسبة السيئة إلى العبد بذلك، فليصح نسبة الحسنة إليه، فما وجه الفرق بين الحسنة والسيئة في الآية إذ قال: ﴿**بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى** /85/ **ثي ثج**﴾؟

قلنا هذا هو سر المسألة، وبإيضاحه يتم الفرق؛ وهو أن تعلم أن النعم كما قلنا تابعة للطاعات، وأن البلايا تابعة للمعاصي كما تقرر من الآيات والأخبار.

لكن الطاعة والمعصية ليستا[2] سواء في النسبة إلى الله تعالى، ولا بالنسبة إلى العبد؛ وذلك أن الطاعة والمعصية لهما سببان باطنان حقيقيان؛ وهما:

- القدر الإلهي.
- والإرادة الربانية.

لكن العبد لم يفعل الفعل لأن الله أراده وقدره؛ لأن هذا مما لا يعلمه إلا بعد وقوعه، فلا يصح بناء الأفعال عليها.

أما بالنسبة إلى الطاعة؛ فهو إرادة العبد، لكن الباعث المحرك للإرادة المتعلقة بالطاعة الأمرُ التكليفي الشرعي.

وأما الباعث المحرك للإرادة المتعلقة بالمعصية؛ فإنما هو هوى النفس.

[1] . روى مسلم في صحيحه من طريق أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها». ولم أجده بلفظ: «يؤتى بها» كما ذكر المؤلف رحمه الله، انظر كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، رقم: 2808، ج1292/2.

[2] . في الأصل: "ليسا"، والصواب ما أثبتناه.

المنارة للاستشارات
ww

فظهر أيضا إسناد السبب الظاهر في الطاعة إلى الله تعالى، بخلاف السبب الظاهر في المعصية؛ فإنه مستند إلى النفس.

[فإن قيل][1]: كما أن الطاعة مأمور بها، كذلك المعصية منهي عنها، والأمر والنهي هما السببان في كون الفعل طاعة ومعصية، فكانت الطاعة والمعصية معا مسندين إلى الله تعالى.

قلنا: إنما أثر النهي في كون الفعل معصية، وليس ذلك من فعل العبد، ولا من كسبه.

أما الأمر، هو وإن كان أثَّر في كون الفعل طاعة، فهو نفسه المحرك لإرادة الطاعة، بل النهي محرك وباعث على الكف على المعصية.

فوضح بما قررناه أن الطاعة منسوبة إلى الله /86/ تعالى بسببها الظاهر والباطن، وأما المعصية فإنما هي منسوبة إلى الله تعالى بالسبب الباطن لا بالسبب الظاهر، فلذلك يصح نسبتها إلى الله تعالى كما في الآية الأولى، ويصح التفصيل كما في الآية الثانية، وإنما جمَعهما نسبة إلى الله تعالى نظرا إلى الحقيقة، وإنما فرَّقهما في الآية الثانية ردا على المنافقين؛ إذ نسبوا السيئات إلى النبي صلى الله عليه وسلم شؤما وتدبيرا، فقال: ﴿تح تخ تم تى تي ثج ثم﴾؛ يعني بسببك لا بسبب غيرك، والخطاب عام غير خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، كقوله: ﴿ثي جح جم حج حم خج﴾ [الأنعام: 28].

وقول الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا[2]

فهذا هو الذي حضرني في الجمع بين الآيتين والله الموفق.

[ثانيا: الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم: «والخير بيديك» وقوله: «والشر ليس إليك »[3]]

[1]. في الأصل: "لا يقال"، وهو ما لا يستقيم والمعنى؛ لأن الشريف التلمساني يذكر اعتراض معترض على ما أورده، فأثبتنا: فإن قيل.

[2]. البيت من الطويل؛ وهو للمتنبي (ت354هـ)، انظر: ديوان المتنبي، ص: 372.

[3]. الحديث رواه الإمام مسلم بلفظ: «والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»، انظر كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: 770، ج350/1. وأيضا الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء عند افتتاح صلاة الليل، رقم: 3422، ج486/5، قال: هذا حديث حسن صحيح.

المنارة للاستشارات
ww

وأما الجمع بين الخبرين؛ فللناس فيه طريقان:

أحدهما: أن المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم: « والشر ليس إليك»؛ لا يتقرب به إليك، لا أنه ليس منك ولا بيدك.[1]

وأقول هذا بعيد عن الغرض في الخبر، ويخرج المطابقة[2] عن حكمها؛ فإن قوله: «الخير بيدك» ليس معناه أنه يتقرب به إليك، بل معناه: إنك خالقه و مريده، فتعين أن يكون المعنى [في قوله][1]: «والشر ليس إليك»؛ أي لا ينسب إليك.

---

[1] . وممن قالوا بهذا التأويل: القاضي عياض، والإمام المازري والمحدث أبو جعفر بن أحمد الطحاوي وغيرهم.

فقال عياض في "إكمال المعلم بفوائد مسلم" ما نصه: "وأما قوله: «والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»، قال الخطابي: معنى هذا الكلام: الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله والمدح له بأن تضاف محاسن الأمور إليه دون مساوئها ومذامها.

قال الإمام (يعني المازري (536هـ)): تتعلق به المعتزلة في أن الله لا يخلق الشر، ونحمله نحن على أن معناه: **لا يتقرب إليك بالشر**".

انظر كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: 770: ج134/3. وراجع أيضا: "المعلم بفوائد مسلم" للمازري، كتاب الصلاة، رقم: 302، ج456/1.

وقال المحدث أبو جعفر بن أحمد الطحاوي: "فتأملنا قوله صلى الله عليه وسلم: «والشر ليس إليك»، فوجدناه محتملا أن يكون أراد به: والشر غير مقصود به إليك، لأن من يعمل الخير يقصد به إلى الله عز وجل رجاء ثوابه، وإنجاز ما وعد عليه، ومن عمل شرا، فليس يقصد به إلى الله عز وجل، وإن كان كل واحد من الخير ومن الشر فمن الله عز وجل، كما قال عز وجل: ﴿ٻ ٻ ٻ ٻ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □﴾ [النساء: 77]؛ أي فإن ذلك كله من عند الله، فييسر أهل السعادة للخير فيعملونه، فيثيبهم ويجازيهم عليه، وييسر أهل الشقاء للشر فيعملونه، فيعاقبهم عليه، إلا أن يعفو عنهم فيما يجوز عفوه عن مثله، وهو ما خلا الشرك به. والله نسأله التوفيق.

وقد أجاز لنا هارون بن محمد العسقلاني عن الغلابي، عن أبي زكريا يحيى بن معين، قال: قال النضر بن شُميل: والشر ليس إليك".

انظر "شرح مشكل الآثار" للطحاوي، ج222/4 . 223.

[2] . المطابقة تعني دلالة اللفظ على تمام معناه الحقيقي أو المجازي؛ كدلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق، وحكم دلالة المطابقة أن يتطابق معنى اللفظ مع الفهم المستفاد منه.

وما قاله المؤلف . رحمه الله . وجيه في أن تأويل قوله صلى الله عليه وسلم: «والخير بيدك» على أن معناه: يتقرب به إليك، يخرج المطابقة عن حكمها، لكن نقل هذه المطابقة بطريق القياس لتأويل قوله عليه الصلاة والسلام «والشر ليس إليك» على أنه: والشر لا ينسب إليك، لا يستقيم، فكان عليه إثبات أن من فسر قوله عليه السلام «والشر ليس إليك» على أنه: لا يتقرب به إليك، فقد أخرج المطابقة عن حكمها، كيف واللفظ محتمل؟ ولو صح نقل هذه المطابقة بالقياس، لصح جدلا لمعترض أن يقول: قلتم إن قوله

المنارة للاستشارات
ww

الطريقة الثانية: وذلك أن تعلم أن الخير والشر مقضيان لله تعالى، ومقدران ومخلوقان له، لكن الخير مقضي له أولا وبالذات، والشر مقضي به ثانيا وبالعرض.

ومعنى هذا أن الشر إنما كان في الوجود لما استلزم /87/ واستصحب من الخير، ويبين هذا بمثال وقياس:

أما المثال؛ فهو أن الطبيب إذا أشار بالدواء المر أو البشيع[2] على العليل، فليس قصده إيلام العليل، وإنما قصده الإبراء، لكن الإيلام مشار به من الطبيب ومقصود بالعرض، وأما الإبراء فمشار به ومقصود بالذات؛ كذلك أفعال الله تعالى.

وأما القياس؛ فهو أن أفعاله سبحانه تشبه أحكامه، وكما أنه سبحانه لم يشرع القصاص والحدود لتحصيل إيلام العباد، بل إنما شرعهما حفظا للنظام، وحياة للنوع الإنساني كما قال الله تعالى: ﴿ۀ ہ ہ ہ﴾ [البقرة: 178]، فصارت هذه الأحكام من جهة الصلاح والخير مشروعة بالذات، وما تضمنته من الألم والمضار مشروعة بالعرض؛ كذلك أفعال الله تعالى من إنعامه وبلاياه[3].

«الخير بيدك» معناه: "إنك خالقه ومريده"، فلم لا تقولون: إن قوله: «والشر ليس إليك» معناه: "لست خالقه ومريده"؛ وهو قول المعتزلة.

[1] . ما بين معقوفتين ليس في الأصل، أثبتناه لإتمام المعنى.

[2] . أي بيِّن البشع.

[3] . يوضح الغزالي هذا المعنى فيقول: "...وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر، وفي ضمنها خير جزيل؛ وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير، ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع: السلامة التي هي خير محض، ثم لما كان السبيل قُطع اليد لأجله، وكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولا، والقطع مطلوبا لغيره ثانيا لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته، والآخر مراد لغيره، والمراد لذاته قبل المراد لغيره، ولأجله قال تعالى في الحديث: «رحمتي سبقت غضبي»، فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته، ورحمته إرادته للخير، والخير بإرادته، ولكن أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته، ولكن لما في ضمنه من الخير، والخير مقتضى بالذات، والشر مقتضى لغيره". انظر: "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، ص62 . 63.

المنارة للاستشارات
ww

وأنت إذا تأملت قوله سبحانه فيما حكى عنه نبيه صلى الله عليه وسلم: «إن رحمتي سبقت غضبي»[1]، علمت أن هذه السبقية ليست بالزمان، وإنما هي بالقصد كما قال الله تعالى: «إنما خلقتكم لتربحوا عَلَيَّ»[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ﴾ [البقرة: 184]، ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ [النساء: 28]، وأمثال ذلك.

وإذا ثبت أن الخير والشر لا يستويان، صح إيجاب النسبة وسلبها بحسب الجهتين؛ فصح أن يقال الشر مقضي به بإطلاق، والشر ليس بمقضي به؛ أي بالذات.

وأما الخير فمقضي به بالذات.

والله سبحانه المسؤول أن يعلمنا، ويبلغنا في العمل بالطاعة أملنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

/88/

[انتهى الجمع بين الآيتين والحديثين، وارتفع اللبس، والحمد لله الذي جعل أهل العلم سراجا في ظلمات الجهالات، وحججا قاطعة للبدع والضلالات، ومفزعا لحل الشبه وإيضاح الإشكالات، ولم تزل المسائل تتوارد عليه

[1] . رواه البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿ے ۓ ۓ ڭ﴾ [الصافات: 171]، رقم: 7453: ج395/4، وانظر أيضا رقم: 7422: ج388/4، و رقم: 7554: ج417/4. ورد الحديث في روايات أخرى بلفظ: «إن رحمتي غلبت غضبي»، انظر: صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ [الروم: 26]، رقم: 3194: ج419/2. وصحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، رقم: 2751: ج1261/2.

[2] . لم أجده في كتب الحديث، وقد ورد في "الإحياء"، كتاب: الخوف والرجاء، ص: 1497، وجاء في "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ما نصه: (وروى وهب بن منبّه أنه كان في التوراة: "يا ابن آدم، وعزتي ما خلقتك لأربح عليك، إنما خلقتك لتربح علي، فاتخذني بدلا من كل شيء، فأنا خير لك من كل شيء")، انظر: ج494/15.

ويعد الشيعة هذا الأثر من الأحاديث القدسية، لوروده في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت: 655هـ) في جملة الأقوال والحكم المنسوبة لعلي رضي الله عنه، رغم أن ابن أبي الحديد ذكره دون إسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت ترى أن القرطبي ذكر أن وهب بن منبه قال إنه كان في التوراة، فلعل هذا الأثر من الإسرائيليات، واستدل به القرطبي والشريف التلمساني لصحة معناه. راجع: "شرح نهج البلاغة" لابن أبي الحديد، ج560/20.

المنارة للاستشارات
ww

من الآفاق، وتتطاول له من المشارق والمغارب الأعناق، حتى وقع على فضله الاتفاق، وانعقد الإجماع والإطباق][1].

/89/

لائحة المصادر:

1 . "الأعلام" لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت: 2002م.

2 . "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق يحي إسماعيل، دار الوفاء . المنصورة، مصر . الطبعة الأولى: 1419هـ/ 1998م.

3 . "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل الأحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى: 1413هـ/ 1993م.

4 . "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم، المطبعة الثعالبية، الجزائر: 1326هـ/1908م.

5 . "بيان تبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية" لابن تيمية الحرالي، تحقيق يحي بن محمد الهنيدي، وزارة الشؤون الإسلامية . المملكة العربية السعودية . 1426هـ.

6 . "التاريخ" لعبد الرحمان ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، طبعة: 1421هـ/2000م.

7 . "تاريخ بن زيان" لمحمد بن عبد الله التنسي، تحقيق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، ط: 2011م، الجزائر

8 . "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد بن محمد الطيب، مكتبة نزار بن مصطفى الباز . مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى: 1417هـ/ 1997م.

9 . "تهذيب معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية . صيدا / بيروت . الطبعة الأولى: 1427هـ/ 2006م.

10 . "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، لابن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1424هـ/ 2003م.

[1] كلام صاحب الترجمة بعد انتهاء الشريف التلمساني من الجمع بين الآيتين والخبرين النبويين.

المنارة للاستشارات
ww

11 . "الجامع الصحيح"، للإمام البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب و آخرون، المطبعة السلفية . القاهرة . الطبعة الأولى: 1400هـ.

12 . "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد الله التركي و محمد رضوان عرقسوسي و ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1427هـ/ 2006م.

13 . "ديوان المتنبي" لأبي الطيب المتنبي، طبعة دار بيروت . بيروت . 1403هـ .

14 . "السنن" لأبي عيسى الترمذي، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية: 1395هـ/ 1975م.

15 . "شرح توحيد المرشد المعين" لمحمد بن قاسم جسوس، مخطوط خزانة المسجد الأعظم بوزان رقم .1145

16 . "شرح مشكل الآثار"، لأبي جعفر الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1415هـ/ 1994م.

17 . "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة" لعبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم . دمشق . الطبعة التاسعة: 1429هـ/ 2008م.

18 . "القاموس المحيط" للفيروز آبادي، تحقيق مؤسسة الرسالة بإشراف العرقسوسي، الطبعة الثامنة: 1426هـ.

19 . "لسان العرب" لابن منظور، تحقيق مجموعة من الأساتذة، طبعة دار المعارف.

20 . "المحرر الوجيز" لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1422هـ/ 2001م.

21 . "المسند" لأحمد بن حنبل، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى:.2008

22 . "المسند الصحيح المختصر من السنن..." للإمام مسلم ابن الحجاج، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى 1427هـ/.2006

23 . "معالم التنزيل" للبغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الأولى: 1409هـ/ 1989م.

المنارة للاستشارات
ww

24 . "المعلم بفوائد مسلم"، لأبي عبد الله المازري، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للطبع، الطبعة الثانية: 1987م.

25 . "المعيار" لأحمد بن يحي الونشريسي، تحقيق: جماعة من الفقهاء بإشراف د.محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، طبعة: 1401هـ/1981م.

26 . "معيار العلم" لأبي حامد الغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف . مصر . 1961م.

27 . "مفاتيح الغيب"، لفخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الأولى: 1401هـ/ 1981م.

28 . "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" لمحمد الشريف التلمساني، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان ط: 1، 1419هـ/1998م، بيروت.

29 . "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" لأبي حامد الغزالي، دراسة وتحقيق: محمد عثمان، مكتبة القرآن: (د.ت)

30 . "مناقب الشريف التلمساني وولديه" لتلمساني مجهول، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، رقم: 345.

31 . "نهج البلاغة" لابن أبي الحديد، طبعة مصر، سنة 1912.

32 . "نيل الابتهاج" لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبد الحميد عبد الله هرامة، منشورات كلية الدعوة، الكبعة الأولى: 1398هـ/1989م، طرابلس.

المنارة للاستشارات
ww